التواصل العلمي بين منطقة توات بالجنوب الجزائري وحاضرتي شنقيط وولاته خلال القرنين 12 - 13هـ/18. 19 م

الأستاذ الدكتور مبارك جعفري

جامعة أحمد دراية . أدرار . الجزائر

الملتقى الوطني: التواصل الحضاري بين الجزائر وبلدان الساحل الإفريقي بين القرنيين 16 و20، المنعقد بجامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي 25 . 26 أكتوبر 2017.

عرفت منطقة توات بالجنوب الغربي الجزائري خلال القرنيين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين حركة علمية نشيطة وتواصل علمي مع إفريقيا جنوب الصحراء، ومن بين الحواضر التي برزت بقوة في هذا التواصل نجد كل من حاضرتي شنقيط وولاته الموريتانيتين، أما إشكالية الدراسة فتتمثل في: ما هي ابرز مظاهر التواصل العلمي بين توات وكل من حاضرتي شنقيط وولاته خلال القرنين 12 ـ 13هـ/18. 19 م ؟ وتتدرج تحتها عدة تساؤلات فرعية منها ما ابرز عوامل التواصل وطرقه بين توات والحاضرتين ؟ وما هي تجليات هذا التواصل ؟ وما هي انعكاساته على الجهتين. وتكمن أهمية الموضوع من كونه يسلط الضوء على التواصل بين الحواضر الصحراوية في شمال وجنوب الصحراء الكبرى وانعكاسات هذا التواصل في شتى المجالات. وهو يهدف إلى إبراز أهمية هذا التواصل لتمتين الروابط الأخوية التي حاول الاستعمار تمزيقها. ويكون تناولنا للموضوع وفق الخطة الآتية:

. تمهيد

أ . تعريف موجز بتوات.

ب . تعريف موجز بحاضرتي شنقيط وولاته.

ج . طرق التواصل العلمي بين توات وشنقيط وولاته.

د . مظاهر التواصل العلمي بين توات وشنقيط وولاته خلال القرنين 12و13هـ.

. خاتمة.

أ . تعريف موجز بتوات: تقع منطقة توات في الجنوب الغربي للجزائر، وتتشكل من ثلاث وحدات أساسية هي: تينجورارين، توات الوسطى، تيدكلت. هناك اختلاف بين الرواة والمؤرخين في أصل التسمية ومعناها نذكر منها: ما ورد في كتاب "تاريخ السودان" لعبد الرحمان السعدي[1]؛ من أن سلطان مالي في طريقه إلى الحج أصاب مرض أصحابه يعرف (بتوات) في لغة السكان منع من إتمام السفر فاستوطنوا هناك وحمل المكان اسم المرض، بينما يرى محمد بن عمر البوداوي وهو من

المؤرخين المحليين أنه لما فتح عقبة بن نافع الفهري بلاد المغرب، سأل أصحابه عن أماكن بعيدة في الصحراء هل تواتي لنفي المجرمين؟ فأجابوه بأنها تواتي، فأنطلق اللسان بذلك وأصبحت توات لعلة التخفيف[2]. والبعض يرى إن توات اسم لأحد القبائل الصحراوية بالجنوب[3]. والبعض يرى أنها كلمة عربية جاءت من الأتوات وهي الفاكهة التي كان يدفعها السكان لملك الموحدين بدل الضرائب[4]. وهناك من يرى أن اسم توات أطلقه الطوارق والعرب على الواحات المنتشرة على ضفاف واد الساورة وواد مسعود[5]، ويقول الشيخ مولاي أحمد الطاهري الإدريسي أنها سميت بهذا الاسم لأنها تواتي للعبادة ولهذا سكنها الكثير من العلماء والأولياء والصالحين[6].بينما يرى (روكليس . Reclus) أن توات اسم بربري يعني الواحات[7] بينما يرى المؤرخ (مارتان . Martin)، أن كلمة توات أصلها إغريقي وتعني الواحة[8]... ألخ من الروايات التي لم تستطع أي منها أن تحق الجزم رغم كون أغلب المصادر تتفق على للأصول البربرية للاسم كون أن البربر من الملثمين وزناته هم أول من سكن المنطقة وكذلك كون معظم أسماء القصور بربرية فكيف تكون الفروع بربرية والأصول غير ذلك.

يسود المنطقة مناخ صحراوي جاف طوال أيام السنة مع الحرارة الشديدة في فصل الصيف، تصل إلى خمسين درجة مئوية، والبرودة في فصل الشتاء، كما تعرف هبوب رياح قوية خاصة في فصل الربيع والصيف[9]. وبالرغم من قسوة الطبيعة وصعوبتها تمكن الإنسان من أعمار المنطقة منذ عصور ما قبل التاريخ حسب الآثار والشواهد كما استخدم الفنيقيون والرومان طريق توات في علاقاتهم مع جنوب الصحراء [10] ويرى برنارد سافرو(Bernard Saffroy) أن اليهود استوطنوا توات منذ القرن الأول قبل الميلاد[11] وبعد دخول الإسلام إلى شمال أفريقيا لعبت المنطقة دورا الوسيط في العلاقة بين دول مماليك المغرب الإسلامي الأوسط والسودان الغربي، ليشهد بداية من القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي تدفقا للقبائل البربرية والعربية القادمة من الشمال بسبب الاضطرابات السياسية، ليصبح مركزا مهما من مراكز التجارة الصحراوية خاصة بعد سقوط مملكة غانا وقيام مملكة مالي في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي وتراجع الطريق التجاري الصحراوي الغربي الربط بين مراكش والسودان الغربي ليحل محله طريق توات تمبكتو كما أصبح طريق الحج الرئيسي عند سكان الجزء الغربي والأوسط من السودان الغربي يمر عبر توات وهو ما زاد في مكانة المنطقة وعمارتها[12].

شهدت المنطقة بداية من القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي نهضة علمية وثقافية استمرت زهاء ستة قرون من الزمن ساهمت مجموعة من العوامل في قيامها واستمرارها

منها: الموقع الاستراتيجي لتوات الذي يتوسط الصحراء، وكونها منطقة عبور رئيسة للقوافل التجارية، والطريق الرئيسي للحجاج الأفارقة، وجود الزوايا والطرق الصوفية والتي كان لها دورا بارزا في مختلف مناحي الحياة.

ب . تعريف موجز بحاضرتي شنقيط وولاته:

ـ ولاتـــه: ولاته، أو أولاتا بالألف في أولها أو بدونه، مدينة تقع في الجنوب الشرقي لموريتانيا، يرى البعض أنها بنيت قبل الإسلام[13]. يعود تاريخ بنائها إلى القرون الأولى للميلاد، وكانت في البدء تُسمى "بيرو"[14]، لكن نهوضها الحقيقي كان مع انتشار الإسلام[15]، وتحولها إلى مركزا مهما في التجارة الصحراوية، ونقطة عبور للقوافل المتجهة من الشمال نحو بلاد السودان، خاصة مع ازدهار الطريق الغربي، الرابط بين سجلماسة وغانا بوصفها نقطة عبور للقوافل التجارية الصحراوية خاصة بعد سقوط كمبي صالح، واندثار آوداغشت [16] زارها الرحالة المغربي الشهير ابن بطوطة حوالي 753هـ/1352م، وسماها في رحلته (ايوالاتن)، بقي بها نحو خمسين يوما، وقال عنها أنها أول عمالة السودان، يباع فيها حمل التمر بعشرة مثاقيل إلى ثمانية، ولحم الضأن بها كثير[17]. غير أن الحسن الوزان وجد أحوال المدينة قد تغيرت، وذكر: بأنها مملكة صغيرة خاملة بالنسبة لسائر مماليك السودان، وهي عبارة عن ثلاث قرى كبيرة وأكواخ متفرقة بين حدائق النخيل، هجرها أهلها من العلماء والتجار، إلى مدينة تمبكتو وغاو، يتكلم أهلها لغة سونغاي، ويعيشون في بؤس شديد[18]. وذكر فالنتين فرناندس (Valentin Fernandes) أن الملح يحمل من ولاته إلى تمبكتو، لأنها مكان تبادل الملح بالذهب، حيث يباع الجمل مع حمله من الملح بمائة أو مائة وعشرين مثقالا من الذهب[19]، وذكر أحمد بن الأمين الشنقيطي بأنها آخر مدن شنقيط (المنطقة) مما يلي بنباره وأهلها عرب، جلهم أو كلهم من الزوايا، فيهم علم وصلاح[20]. منذ القرن السّادس عشر الميلادي، عَرفت مدينة ولاته بداية نهضةٍ علمية وفكريةٍ كبيرةٍ، وأصبحت مركز إشعاع ثقافي في الصحراء الكبرى، كما هاجر إليها عدد كبير من علماء فاس، و تمبكتو، وتلمسان، ومراكش، و توات.

ـ شنقيط: شنقيط، بالقاف أو الجيم، مدينة تقع في منطقة (أدرار) بالقرب من الساحل الغربي[21] في الصحراء الغربية لأفريقيا، والكلمة تعني عيون الخيل[22]، عرفت المدينة قديما بـ (آبير)، تذكر بعض المصادر أنها بنيت في القرن الأول الهجري[23]، ووجد في بعض التقاييد أنها بنيت حوالي سنة 160هـ/777م، لكنها إختفت تحت الرمال[24]، وجاء في مخطوط نقلات حول تاريخ بني حسان أن شنقيط الأولى بنيت عام (فص =170هـ) والثانية عام (صخ = 690هـ)[25]،وذكر

السعدي أنها كانت مدينة مزدهرة عامرة، يأتي إليها التجار والعلماء، ويسكنها الناس من فاس، وتوات، وورقلة والسوس، وبعد قيام تمبكتو انتقل الجميع إليها، وكانت عمارة الأخيرة خراب آبير[26].

قامت شنقيط على أنقاض آبير في القرن السابع الهجري تقريبا، على يد قبيلتي (إيدوعل، والأغلال) وهم أول من عمرها قبل أن ينتقل الناس إليها من مختلف الجهات. ازدهرت المدينة وتطورت في فترة وجيزة، وأصبحت مكاناً تجتمع فيه قوافل الحجيج في منطقة الساحل والحوض، ومنها تنطلق إلى الحج، حتى صار لا يعرف سكان تلك الجهة في الحرمين إلا بالشناقطة، وجعل أسم المدينة يطلق على كل تلك الجهة، الممتدة من الأزواد شرقا إلى المحيط غربا، بما فيها من مدن ومراكز مثل: (أوجفت، وادان، عطار، آدرار، الساقية الحمراء، تيجكجة، تيشيت، ولاته، نعمه، عين العتروس، لمراير، تامشكيت ..الخ).

اختلف المؤرخون والجغرافيون حول انتمائها، هل تنسب لبلاد السودان أم لبلاد المغرب، وكان هذا الاختلاف عادةً ما يقع في الحج، حيث أن الشناقطة عندما يأخذون من أوقاف المغاربة يحتجون عليهم[27]، لأنهم ليسوا مغاربة، ونفس الشيء بالنسبة للأفارقة، أما أهلها فيقلون أنهم مغاربة، وقد حكم لهم قاضي المدينة المنورة (تاج الدين إلياس) بذلك[28]، ورغم هذا الحكم فإن المدينة قد جمعت بين المنطقتين، بلاد المغرب وبلاد السودان، وكان هذا إحدى عوامل ازدهارها وتطورها، جاعلا منها محطة رئيسية تمر بها القوافل الضخمة المارة بين الشمال والجنوب، والتي يذكر البعض أن تعدادها وصل في بعض الأحيان، إلى اثنان وثلاثون ألف جمل[29]، وأكثر تجارتها الصمغ، والملح، الذي كان يؤتى به من سبخة (آجِّلْ) التي تبعد عن شنقيط بخمسة مراحل، ويباع في السودان.

برزت شنقيط كمركز علمي لامع في الصحراء وأنجبت كثير من العلماء أمثال: القاضي عبد الله (ت1691/1103)، وأحمد أكد الحاج(ت1675/1086). وفي القرن الثاني عشر الهجري أنجبت: محمد بن المختار بن الأعمش (ت1691/1103)، والخليفة بن أحمد أكد الحاج (ت1775/1188)، وأحمد بن المختار بن الطالب محمد بن المختار بن الأعمش(ت1742/1155)، وأحمد بن الحاج حمى الله(ت1779/1193)، وابنه عبد الله (ت1794/1209). كما اشتهرت المدينة بكثرة خزائنها ومكتباتها: كمكتبة أهل حبت، وأهل أحمد الشريف، وأهل السبتي، وأهل الخرشي. ما عرفت المدينة أيضا بكثرة شعرائها، حتى صارت تعرف بمدينة الشعراء، وقلما تجد بها حيا أو قبيلة لا يتعاطَ سكانه الشعر سجية. ومن أشهر شعراء

المدينة عبد الله بن محمد العلوي الإداوعلي، وحرم بن عبد الجليل العلوي[30]، ونظرا لكثرة علمائها وأدبائها تعززت الصورة الإيجابية للمدينة في العالم الإسلامي.

ج . طرق التواصل العلمي بين توات وشنقيط وولاته:

إن التواصل العلمي بين توات وشنقيط وولاته كان قوى خلال القرن الثاني عشر الهجري، وقد ساهمت في بروزه مجموعة من العوامل والطرق يمكن ذكرها فيما يلي:

. تنقل السكان: يعد تنقل السكان إحدى وسائل الاتصال بين توات وشنقيط وولاته وخير مثال على ذلك ما ذكره محمد العالم بكراوي أن المحاجيب سكان ولاته الأوائل ينتسبون للشيخ عمر بن محمد بن عمرو البازي (ت 872هـ/1468م)، الذي انتقل من توات إلى ولاته وهذه العائلة تلتقي مع العائلة البكرية بتوات في النسب عند هذا الشيخ، ويتفق بول مارتي مع البكري في جد المحاجيب الذي قدم من الشمال . لم يذكر توات . وفي أصله العربي، وأنه من أول البيض الساكنين ولاته، لكن ذكره باسم (يحيى بن ينوماس المحجوبي)، وقال أنه سمي بالمحجوبي، لأن نساءه كن محجبات[31]. ومن الأمثلة على التمازج السكاني قبيلة كنته العربية حيث تعتبر منطقة توات الموطن الأول لكنته في الصحراء، ومنها تفرقوا في مختلف المناطق وتذكر الروايات أن الشيخ عثمان بن يهس جد الكنتين، الذي يتصل نسبه بالفاتح عقبة بن نافع الفهري، وصل إلى توات وأقام في واحة عزي بمقاطعة فنوغيل، وبعد وفاته خلفه ابنه سيدي يحيى، الذي بدوره خلفه ولده سيدي علي(ق14م/15م) والثلاثة دفنوا بتوات[32]، جاء بعد سيدي علي ابنه الشيخ سيدي محمد الكنتي (ق9هـ/15م) والذي حملت العائلة أسمه، وفي عهده بدأت هجرة الكنتيين إلى الصحراء، عاش هذا الأخير متنقلا بين توات وآدرار بموريتانيا، ليتوفي هناك في إقليم (تازيازات)[33]، بعد أن خلف ابنه سيدي أحمد البكاي دفين ولاته (ت909هـ/ 1504م) زعيما للقبيلة.

كما توجد الكثير من القبائل العربية التي انقسمت فروعها بين توات ومنطقة شنقيط وولاته ومنها عائلة الأشراف أولاد السي حمو بالحاج الذين لهم فروع عدة في توات وهم من أسس حاضرة النعمة بالقرب من ولاته، وأوردت لنا المصادر التاريخية تراجم الكثير منهم نذكر على سبيل المثال لا الحصر: مولاي السعيد بن مولاي عبد الله الرقاني (ت1209هـ) وأخوه مولاي الشريف بن مولاي عبد الله الرقاني (ت1208هـ) والذي ذكر صاحب منح الرب الغفور أنهما كانا من عباد الله الصالحين والأولياء المشهورين لهما كرامات ومناقب كثيرة[34]، والشريف سيدي محمد الحاجب بن مولاي عمر بن مولاي فضيل بن مولاي هاشم بن مولاي محمد بن مولاي عبد المالك بن سيدي حم بن الحاج المتوفي سنة 1231هـ[35]، ومن الأشراف الذين سكنوا ولاته أيضا وتوفوا بها الشريف

مولاي عبد القادر المعروف بعاله بن مولاي الشريف بن سيدي محمد بن مولاي عبد القادر بن سيدي حمو بن الحاج المتوفى سنة 1215هـ، وكان الشريف عاله تقيا عابدا قوي الدين نصوحا للجميع لا يخاف في الله لومة لائم حسن الوجه والثياب والحديث حريصا على حق البهائم فما بالك بحقوق الناس وكان مشهور بين أهل ولاته بالبركة وقبره إلى اليوم بها بجبلها الغربي، لا يزوره أحد في حاجة إلا قضاها[36]. ومنهم الشريف الشيخ بن لخليفه بن مولاي الشريف بن سيدي محمد بن مولاي عبد القادر بن سيدي حمو بالحاج (ت1264هـ)[37]، ومنهم الشريف بن مولاي عمار بن مولاي فضيل بن مولاي هاشم بن مولاي أمحمد بن مولاي عبد المالك بن سيدي حمو بن الحاج (ت1267هـ)[38]. ومن العائلات عائلة أولاد ملوك[39] الذين لهم فرع في توات يحمل اسم أولاد عمر ملوك، وفرع في منطقة الحوض بموريتانيا [40].

. القوافل التجارية: شكلت التجارة إحدى وسائل الاتصال الهامة بين توات وشنقيط وولاته، وكانت توات مركز تجاري تجتمع فيه القوافل التجارية القادمة من الشمال مع القوافل القادمة من السودان الغربي[41]، بوصفها نقطة عبور وممر رئيسي خاصة بعد تراجع مكانة الطريق الغربي الرابط بين سجلماسة، ولاتا، غاو، نتيجة للاضطرابات السياسية، وانتشار قطاع الطرق، مما أدى إلى تدحرج التجارة شرقا نحو طريق توات، الذي أصبح الأهم، خاصة مع ازدهار مملكة سنغاي[42]، وكانت القوافل عادة ما تكون محملة بالكتب والمخطوطات، بعدما راجت تجارتها في ذلك العصر، بفضل ما كانت تدره من أرباح تفوق بكثير أرباح السلع الأخرى[43]، وقد تعرف سكان ولاته وشنقيط على كثير من التجار التواتيين الفقهاء، ومنهم أولاد السي حمو بالحاج الذين كانوا في أغلبهم تجار

. ركب الحجيج: كانت توات إحدى المحطات الرئيسية لحجيج شنقيط وولاته، وشكل الحج فرصة سنوية مناسبة للكثير من سكان المدينتين لزيارة المنطقة والالتقاء بالعلماء والطلبة، وتسجل الكثير من المصادر التاريخية رحلات الحجيج التي قام بها الشناقطة والولاتيون عبر توات، ومنها: حج الشيخ الحاج أبو بكر بن الحاج عيسى بن أبي هريرة الغلاوي الشنقيطي (ت1146هـ/1733م)، حج عام 1121هـ/1709م رفقة الشيخ أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي[44]، كما حج سنة 1157هـ/1744م الشيخ أبو بكر بن الطالب محمد بن الطالب عمر البرتلي الولاتي (ت1199هـ/1785م)، حيث أتى معه من الحج بخزانة نفيسة من الكتب[45]، ومن دون شك نَسَخَ أو أسْتُنْسِخَ البعض منها في توات، وممن حج من الفقهاء الولاتيون عبر توات الشيخ الحاج البشير

بن أبي بكر بن الطالب محمد البرتلي(ت1214هـ/1799م)، حج سنة 1204هـ/1789م، وله رحلة حول ذلك، يذكر فيها مراحل الطريق من توات إلى الحج[46].

وكان للحجاج الشناقطة على العموم أماكن محددة يأتون إليها داخل توات، في أوقات معلومة من السنة، وهناك يلتقون بالطلبة والعلماء من الإقليم، الذين يبقون في انتظارهم، وعندها يتم التبادل العلمي والإجازات، والمخطوطات، وأهم مراكز الالتقاء: زاوية الشيخ سيدي علي بن حنيني بزاقلو، زاوية كنته، زاوية الركب النبوي بأقبلي بمنطقة تيدكلت[47]، وتسابيت، وزاوية عبد الله بن طمطم بأوقروت.

ـ الطرق الصوفية: لعبت الطرق الصوفية دورا كبيرا في التواصل العلمي بين توات وشنقيط وولاته وكانت توات بمثابة البوابة التي مرت منها هاته الطرق، وفي مقدمتها الطريقة القادرية، التي تعرف انتشارا كبيرا في المدينتين ويعد الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي أول من أدخلها للسودان الغربي عبر توات جاء من بعده الشيخ عمر الشيخ الكنتي، الذي اختط لها فرعا جديدا عرف بالبكائية، وفي القرن الثاني عشر برز الشيخ المختار الكنتي الكبير بأزواد، وأسس فرعا جديداً من فروعها عرف بالطريقة القادرية المختارية، وبعده انقسمت القادرية إلى ثلاث فرق: الأولى البكائية وكان مركزها زاوية المختار الكنتي بأزواد، وانتشرت من توات إلى تمبكتو، والثانية قادرية آدرار بموريتانيا، والثالثة قادرية ولاته، وكان للفرق الثلاثة دور كبير في نشر العلم والإسلام في أفريقيا[48].

ومن الطرق الصوفية التواتية التي كان لها انتشار كبير في ولاته الطريقة الرقانية التي أسسها الشيخ مولاي عبد المالك الرقاني (ت1207هـ/1793م)، وكان لها انتشار واسع في ولاته وضواحيها، والفضل في ذلك يعود للشيخ مولاي زيدان التواتي(ت1202هـ/1788م)[49].

د . مظاهر التواصل العلمي بين توات وشنقيط وولاته خلال القرنين 12و13هـ:

توطدت العلاقات العلمية بين توات وشنقيط وولاته خلال القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي ومن مظاهر هذه العلاقة نذكر:

ـ تنقل العلماء: تنقل الكثير من العلماء التواتيين خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين، إلى ولاته وشنقيط ومن الأمثلة على ذلك: الشيخ مولاي زيدان بن محمد بن مولاي أحمد بن سيدي حم (ت1202هـ/1788م) والذي زار منطقة الحوض أربع مرات حسب البرتلي، وكان رسول الشيخ مولاي عبد المالك الرقاني لتلك المناطق، وعمل على نشر طريقته هناك، ومن الأماكن التي كان ينزل بها ولاته، أين كان الناس يأتونه في الصباح والمساء للتبرك به والاستفادة

منه، ويقول عنه البرتلي: أنه أثر في الناس أيما تأثير، وأعطي قدرة في الكلام فلا يناظره احد إلا أفحمه، وقد قصده في سبعين حاجة بين الدنيا والآخرة، قضى الله له جميع حوائج الدنيا، وهو يرجوه قضاء حوائج الآخرة[50]. ومن التواتيين في ولاته الذين ذاع صيتهم الطالب سيدي أحمد التواتي بن محمد بن عمر، من بني علي بن عبد الله (ت1138هـ/1726م)، يقول عنه البرتلي: أنه كان أحد الأولياء العارفين، مداوما على الأوراد، مشتغلا بالتصوف، له خزانة مليئة بكتبه، وغيرها، توفي عام 1138هـ/1726م وقيل عام 1188هـ/1774م[51].

ومن الجهة المقابلة، فقد قدم أيضاً الكثير من العلماء والطلبة من ولاته وشنقيط إلى توات، ومنهم الشيخ سيدي محمد الإداوعلي (ت قبل 1198هـ/1784م)، نسبة لقبيلة (إدوعل) كبرى قبائل شنقيط، والذي ولد في شنقيط، ودرس بها، ثم خرج منها على رأس وفد من الحجيج من مختلف المناطق الإفريقية، يريد البقاع المقدسة، ولما وصل إلى منطقة عين صالح بتوات، توقف عن المسير، وترك القافلة، وعاد لزاوية الركب النبوي بأقبلي[52]. وهناك استقبله شيخها أبو نعامة وطلب منه البقاء معه، لكن الإداوعلي فضل الانتقال لتوات الوسطى، وبالضبط لتمنطيط، عند الشيخ البكري بن عبد الكريم، الذي استقبله، وبقي عنده دارسا ومدرسا، فذاع صيته في توات، وطلبه أعيان عدد من القصور، فاختار قصر أعباني بفنوغيل، استقر هناك وأسس زاوية ومدرسة. ولشدة تعلق بعض الولاتيين والشناقطة بتوات وكثرة ترددهم عليها انتسب البعض منهم إليها، حتى صاروا لا يعرفون إلا (بالتواتي) مثل: الحاج احمد بن الحاج الأمين[53] الغلاوي الملقب بالتواتي، كان من كبار العلماء والصالحين، حج مرات عديد إلى بيت الله الحرام، وكان شيخ ركب الشنافطة من السودان الغربي إلى توات، ليخلفه أبو نعامة من توات إلى الحج، عرف بكرمه، وزهده، وهمته، من مؤلفاته، كتاب سماه "كشف الغمة في نفع الأمة" توفي عام 1157هـ/1744م بفزان في ليبيا أثناء عودته من الحج[54].

. تأثر الشناقطة والولاتيون بعلوم ومؤلفات التواتيين: تأثر الشناقطة والولاتيون بعلماء وعلوم التواتيين، وانكبوا على كثير من مؤلفاتهم ينسخونها، ويدرسونها، وحتى شارحين لها أحيانا، ومن الأمثلة على ذلك: كتاب "المعين المبارك على منظومة ابن أب المزمري للمقدمة الأجرمية"[55] للشيخ المختار بن الطالب عبد الله الشنقيطي الولاتي، وهو شرح على مؤلف بن اب المذكور، ومن الأمثلة على ذلك: الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي(ت1202هـ) صاحب المؤلف المشهور" فتح الشكور في معرفة علماء التكرور" والذي أخذ ورد الشيخ مولاي عبد المالك الرقاني(ت 1207هـ /1793م)[56]، وكان تلميذه، عن طريق الشيخ مولاي زيدان

التواتي (ت 1202هـ /1788م)[57]. والشيخ الفقيه الطالب الأمين بن الطالب الحرشي (ت1166هـ/1753م)، الذي أخذ حكم ابن عطاء الله في التصوف "الحكم العطائية" على يد الشيخ أحمد بن عمر التواتي (ت 1138هـ /1725م) و أخذ عنه الورد والطريقة في التصوف[58]. كما أخذ الشيخ الطالب محمد بن الطالب عمر الخطاط بن محمد نض البرتلي الولاتي(ت1165هـ/1752م) الورد الغازي الناصري، ومبادئ التصوف على يد الشيخ احمد بن محمد عمر بن علي بن عبد الله التسابيتي[59] التواتي[60].

أما من حيث التأليف، فقد حازت توات على اهتمام الشناقطة وراحوا يكتبون حولها، مبدين احترامهم لها، ومن الأمثلة على ذلك ما كتبه الحاج البشير بن الحاج أبي بكر بن الطالب محمد بن الطالب عمر البرتلي، الذي عرف بحبه للنبي، قام بالحج عام 1204 هـ/1790م، وبعد عودته كتب رحلة يذكر فيها مراحل طريق الحج من بلاد توات إلى مكة.

. المخطوطات التواتية في شنقيط وولاته: انتقلت كثير من مخطوطات توات إلى خزائن ومكتبات شنقيط وولاته، عن طريق القوافل التجارية، وقوافل الحجيج، وأثناء تنقل العلماء بين المنطقتين. وكان للشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي حصة الأسد من كل ذلك، حيث لا تكاد تخلوا خزانة من الخزائن إلا و بها مؤلف من مؤلفاته، ومن علماء القرن الثاني عشر، اشتهر العالم اللغوي محمد بن اب المزمري، الذي عرف بإبداعه، وغزارة إنتاجه، وكثرة تنقله، مما ساهم في انتشار مؤلفاته في منطقة الحوض بصفة عامة.

وعند قيامنا بإطلالة خفيفة، على فهارس بعض الخزائن المشهورة في شنقيط وولاته، نجد الكثير من المخطوطات التواتية. وقد تضمن البعض منها أخطاء كالاسم مثلاً: محمد بن اب التواتي الغلاوي[61]، حيث أضيفت كلمة الغلاوي إلى اسمه.

وأكثر من ذلك راح بعض الشناقطة ينسبون البعض من هاته المخطوطات لغير مؤلفيها، كما حدث مع محمد ابن اب المزمري التواتي (ت 1160هـ/1747م) ومؤلفه" نظم على مقدمة ابن أجروم"[62]، حيث وقع تحريف في البيت الأول من القصيدة الذي جاء فيه ذكر للمؤلف[63]، ونسبت القصيدة إلى عبيد ربه الشنقيطي[64] رغم أنه عاش في القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي، أما القصيدة فكتبت سنة (1120هـ/1708م)، كما هو مذكور في نهايتها.

. خاتمة.

وفي ختام هذه الورقة البحثية خرجنا بمجموعة من النتائج من بينها:

ـ عرفت منطقة توات نهضة علمية لابأس بها بداية من القرن التاسع الهجري بحكم موقعها الاستراتيجي الذي يتوسط الصحراء، وكونها ممر رئيسي للقوافل التجارية، وقوافل الحجيج لبلاد السودان الغربي.

. عرفت منطقة توات تواصل علمي وحضاري مع إفريقيا جنوب الصحراء ومن بين الحواضر نجد كل من حاضرتي شنقيط وولاته الموريانيتين.

ـ ساهمت مجموعة من العوامل في التواصل العلمي بين توات وكل من حاضرتي شنقيط وولاته منها: القوافل التجارية، وقوافل الحجيج، والتمازج السكاني، والطرق الصوفية والزوايا.

. إن التواصل العلمي بين منطقة توات وحاضرتي شنقيط وولاته خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين، الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين كان مزدهرا، ولا تزال عشرات المخطوطات في خزائن الحاضرتين شاهدة علي ذلك.

قائمة المصادر والمراجع:

– الأطلس العالمي: المعهد التربوي الوطني والديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر، بدون تاريخ.

– الأنصاري أبو عبد الله: فهرست الرصاع، تحقيق محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، دون تاريخ.

– البرتلي الولاتي محمد بن أبي بكر الصديق أبي عبد الله (ت 1219هـ/1804م) : فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م.

– ابن بطوطة محمد بن عبد الله اللواتي شمس الدين أبي عبد الله الطنجي: تحفة النظار في غريب الأمصار وعجائب الأسفار، دار صادر، بيروت، 2001م.

– بكراوي محمد العالم: الدرة البهية في الشجرة البكرية، مخطوط، د ر، الخزانة البكرية، تمنطيط، ادرار، الجزائر.

– أبي بكر بن أحمد المصطفى (ت1335 . 1917م): منح الرب الغفور في ما أهمله صاحب فتح الشكور، تحقيق محمد الأمين بن حمادي، ENS E'DITIONS، ليون، فرنسا، 2011.

– التمنطيطي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق: درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام: مخطوط، خزانة كوسام، أدرار، الجزائر.

– التنيلاني عبد الرحمن بن عمر: تراجم بعض علماء ومشائخ الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنيلاني، (فهرست التنيلاني)، خزانة تنيلان، أدرار، الجزائر.
– تقاييد (وثائق موريتانية مختلفة) : مخطوط، خزانة أهل أحمد محمود، شنقيط (نسخة محفوظة بجامعة فرايبورغ ألمانيا رقم 1080.
– جعفري أحمد بالصافي: رجال في الذاكرة (الشيخ سيدي محمد الإداوعلي ق12 حياته وشعره)، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2008م.
– جعفري مبارك: العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12 هـ، دار السبيل للنشر والتوزيع، بن عكنون الجزائر، 2009.
– الجعفري محمد بن عمر البوداوي: نقل الرواة عن من أبدع قصور توات، خزانة بودة، أدرار، الجزائر.
– الحمدي أحمد: المختار الكنتي الكبير من خلال مخطوطه كشف الشبهات بالبراهين والبينات، مجلة الواحات للبحوث والدراسات: مجلة أكادمية محكمة، تصدر عن المركز الجامعي غرداية، العدد الأول، ديسمبر 2006.
– الديسفي الحميري التمبكتي محمد بن مسلم: قصيدة في تاريخ المحاجيب، مخطوط، رقم خزانة ابَّ بن شيخنا، ولاته، محفوظ بجامعة فريبورغ بألمانيا، رقم 1222.
– زبادية عبد القادر: مملكة سنغاي في عهد الأسقيين، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1971م.
– السعدي عبد الرحمن بن عبد الله: تاريخ السودان، طبعة هوداس، باريس، 1981م.
– الشنقيطي أحمد بن الأمين: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ط2، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، 1958م.
– الطاهري الإدريسي مولاي احمد: نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات، مخطوط، دون ترقيم، خزانة كوسام، ادرار، الجزائر.
– عليق ريحة نابت: قصر ملوكة دراسة تاريخية وأثرية، رسالة ماجستير، قسم الآثار، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر 2001 . 2002م.
– الكنتي محمد المختار والغلاوي محمد بن حبت: نقلات صغيرة في تاريخ بني حسان، مكتبة أنَّ بن محمد الشيخ الداودي، ولاته، م ج ف أ، رقم 1201.

- الكنتي محمد بن المختار: الرسالة الغلاوية، تحقيق حماه الله ولد السالم، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، ط1، مطبعة الكوثر، الرباط، المغرب، 2003.
- مارتي بول: القبائل البيضانية في الحوض والساحل الموريتاني، تعريب محمد محمود ودّادي، دار السرح، بيروت لبنان، 2005م.
- مارتي بول: كنته الشرقيون، تعريب محمد محمود ودّادي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، سوريا، 1985م.
- ولد حامد المختار: التاريخ السياسي (موسوعة حياة موريتانيا)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2000.
- Bernard Saffroy: chronique de Touat, centre saharien, Ghardaïa, Algérie,1994.
- Martin A.G.P: quatre siècles d'histoire marocaine (1504, 1904), paris, 1923.
-Reclus Élisée: Nouvelle Géographie universelle, T.XI (L'Afrique septentrionale), Paris,1886.
- Robert Cornevin: Histoire de l'Afrique, imprimerie Bussière. paris,1962.

الحواشي:

(1) عبد الرحمان بن عبد الله السعدي: تاريخ السودان، طبعة هوداس، باريس، 1981م، ص07.

(2) محمد بن عمر البوداوي الجعفري: نقل الرواة عن من أبدع قصور توات، خزانة بودة، أدرار، الجزائر، ص ص3، 4.

(3) أبو عبد الله الأنصاري: فهرست الرصاع، تحقيق محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، بدون تاريخ، ص 127.

(4) محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي: درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام: مخطوط، خزانة كوسام، أدرار، الجزائر، ص ص8 ، 9.

(6) Mandeville G: L' Algérie méridionale et le Touat, paris, 1898, p8.

(6) مولاي احمد الطاهري الإدريسي: نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات، مخطوط، دون ترقيم، خزانة كوسام، ادرار، الجزائر، ص12.

(7) Reclus Élisée: Nouvelle Géographie universelle, T.XI (L'Afrique septentrionale), Paris,1886, p 845.

(8) Martin A.G.P: quatre siècles d'histoire marocaine (1504, 1904), paris, 1923, pp,1, 2.

(9) الأطلس العالمي: المعهد التربوي الوطني والديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر، بدون تاريخ، ص ص18، 19.

(10) عليق ريحة نابت: قصر ملوكة دراسة تاريخية وأثرية، رسالة ماجستير، قسم الآثار، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر 2001. 2002م، ص 15.

(12) Bernard Saffroy: chronique du Touat, centre saharienne, Ghardaïa, Algérie, 1994. p 01.

(12) مبارك جعفري: العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12 هـ، دار السبيل للنشر والتوزيع، بن عكنون الجزائر، 2009، ص من 70 إلى 75.

(13) الديسفي الحميري التمبكتي محمد بن مسلم : قصيدة في تاريخ المحاجيب، مخطوط، رقم خزانة ابَّ بن شيخنا، ولاته، محفوظ بجامعة فريبورغ بألمانيا، رقم 1222، اللوحة 06 اليمين.

(14) بول مارتي: القبائل البيضانية في الحوض والساحل الموريتاني، تعريب محمد محمود ودّادي، دار السرح، بيروت لبنان، 2005م، ص 304.

(15) تذكر بعض الروايات أن عقبة بن نافع الفهري (ت 58هـ) وصل ولاته، مما يرجح دخول الإسلام المدينة في القرن الهجري الأول. أنظر بول مارتي: كنته الشرقيون، تعريب محمد محمود ودّادي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، سوريا، 1985م، ص 15.

(16)عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي في عهد الأسقيين، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1971م، ص 196.

(17)ابن بطوطة محمد بن عبد الله اللواتي شمس الدين أبي عبد الله الطنجي (ت779هـ/1377م) : تحفة النظار في غريب الأمصار وعجائب الأسفار، دار صادر، بيروت، 2001م، ص 392 وما بعدها.

(18) حسن الوزان: وصف إفريقيا، ترجمة محمد حاجي، ومحمد الأخضر، جزآن، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983م، ج2، ص ص161، 162..

(19) المختار ولد حامد: التاريخ السياسي (موسوعة حياة موريتانيا)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2000، ص ص 89، 90.

(20)الشنقيطي أحمد بن الأمين: (ت1331هـ/1913م)، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ط2، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، 1958م، ص 459.

(21) موريتانيا الحالية، وتقع المدينة شمال شرق مدينة نواقشط.

(22) أحمد بن الأمين الشنقيطي، المرجع السابق، ص 422.

(23)محمد بن مسلم الديسفي: المخطوط السابق، اللوحة 06 اليمين.

(24)تقاييد (وثائق موريتانية مختلفة): مخطوط، خزانة أهل أحمد محمود، شنقيط (نسخة محفوظة بجامعة فرايبورغ ألمانيا رقم 1080)، الورقة 01 الوجه.

(25) الكنتي محمد المختار والغلاوي محمد بن حبت : نقلات صغيرة في تاريخ بني حسان، مكتبة أنَّ بن محمد الشيخ الداودي، ولاته، م ج ف أ، رقم 1201.، اللوحة 02اليسار.

(26) عبد الرحمان السعدي: المصدر السابق، ص 21.

(27) يوجد في البقاع المقدسة أوقاف مخصصة لكل جهة من جهات العالم الإسلامي، من ذلك ما قام به الملك أسقيا محمد الكبير عندما اشتري بستانا في المدينة المنورة وأوقافا أخرى حبسها على سكان التكرور. أنظر: عبد الرحمان السعدي المصدر السابق، ص 72.

(28) أحمد بن الأمين الشنقيطي، المرجع السابق، ص 423.

(29) نفسه، ص 426.

(30) للمزيد أنظر: المرجع نفسه.

(31) ينظر: محمد العالم بكراوي: الدرة البهية في الشجرة البكرية، مخطوط، د ر، الخزانة البكرية، تمنطيط، ادرار، الجزائر، ص 29 وما بعدها. بول مارتي، القبائل البيضانية، المرجع السابق، ص 312 وما بعدها.

(32) محمد بن المختار الكنتي: الرسالة الغلاوية، تحقيق حماه الله ولد السالم، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، ط1، مطبعة الكوثر، الرباط، المغرب، 2003، ص 39.

(33) نفسه، ص 27.

(34) أبي بكر بن أحمد المصطفى (ت1335 . 1917م): منح الرب الغفور في ما أهمله صاحب فتح الشكور، تحقيق محمد الأمين بن حمادي، ENS E'DITIONS، ليون، فرنسا، 2011،. ص 62.

(35) نفسه: ص 93.ن

(36) نفسه: ص 70.

(37) نفسه: ص 141.

(38) نفسه: ص 145.

(39) أولاد ملوك فرع من البرابيش بنو حسان، يقول بول مارتي أنهم كانوا رفاقا لكنته في الهجرة، وهم قسمين البيض والسود. بول مارتي: القبائل البيضانية، المرجع السابق، ص 171.

(40) هي المنطقة الوسطى والجنوبية الشرقية من موريتانيا، أهم مدنها حاليا، النعمة، ولاته، عيون العتروس.

(41) حسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 133.

(42) Robert Cornevin : Histoire de l'Afrique, Imprimerie Bussière (Cher), France,1962, p357.

(43) حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 167.

(44)البرتلي الولاتي محمد بن أبي بكر الصديق أبي عبد الله (ت 1219هـ/1804م) : فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م، ص 76.

(45) البرتلي: المصدر السابق، ص 78.

(46) نفسه، ص 83.

(47) عبد الرحمان بن عمر التنيلاني: تراجم بعض علماء ومشائخ الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنيلاني، (فهرست التنيلاني)، خزانة تنيلان، أدرار، الجزائر، ص 54.

(48) أحمد الحمدي: المختار الكنتي الكبير من خلال مخطوطه كشف الشبهات بالبراهين والبينات، مجلة الواحات للبحوث والدراسات: مجلة أكادمية محكمة، تصدر عن المركز الجامعي غرداية، العدد الأول، ديسمبر 2006، ص 155 وما بعدها.

(49) البرتلي الولاتي: المصدر السابق، ص 97.

(50) نفسه: ص 100.

(51) نفسه: ص 43.

(52) أحمد بالصافي جعفري: رجال في الذاكرة (الشيخ سيدي محمد الإداوعلي ق12 حياته وشعره)، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2008م، ص 13 وما بعدها.

(53) الأرجح أنه من علماء بلاد التكرور، انتسب إلى توات لكثرة تردده عليها، وصار لا يعرف إلا بالتواتي.

(54) البرتلي الولاتي: المصدر السابق، ص48 وما بعدها.

(55) توجد نسختين من المؤلف في مركز أحمد بابا بتمبكتو، تحت رقمي: (5389، 4192).

(56) البرتلي الولاتي: المصدر السابق، ص 21.

(57) نفسه، ص 201 وما بعدها.

(58) نفسه، ص 66.

(59) نسبة إلى تسابيت.

(60) البرتلي الولاتي: المصدر السابق، ص 127.

(61) تمت إضافة الغلاوي إلى اسمه، والمخطوط من ثلاث نسخ وهو بعنوان مقدمة الأجرمية، في خزانة نواقشط، تحت أرقام(101، 243، 596).

(62) توجد العديد من المخطوطات بهذا الخطاء منها ثلاثة في مكتبة نواقشط، وهي بعنوان " نظم عبد ربه في النحو) ولا وجود للمؤلف فيها، وجاءت أرقامها كما يلي 1539، 1151، 1262، أما المخطوطات المرقمة ب(101، 243، 596) في نفس الخزانة فقد جاءت تحت عنوان " عبيد ربه نظم مقدمة الأجرمية" وتم ذكر المؤلف،(محمد بن اب التواتي الغلاوي. أما المخطوط الكامل فتوجد نسخة منه بخزانة بعبد الله، تيمي، ادرار، الجزائر.

(63) ورد في القصيدة الأصلية وفي البيت الأول:

قال ابن اب واسمه محمد *** الله في كل الأمور أحمد

وختمها ابن اب بذكر تاريخ كتابتها بقوله :

قد تم ما أتيح لي أن أنشئه *** في عام عشرين وألف ومئه

وقد وقع التحريف بالبيت الأول، حيث ورد:

قال عبيد ربه واسمه محمد *** الله في كل الأمور أحمد

(64) قام الأستاذ زايد الأذان بن الطالب احمد الشنقيطي، بشرح المنظومة الذي جاء تحت عنوان (مصباح الساري شرح منظومة عبيد ربه الشنقيطي على المقدمة الأجرومية في النحو).